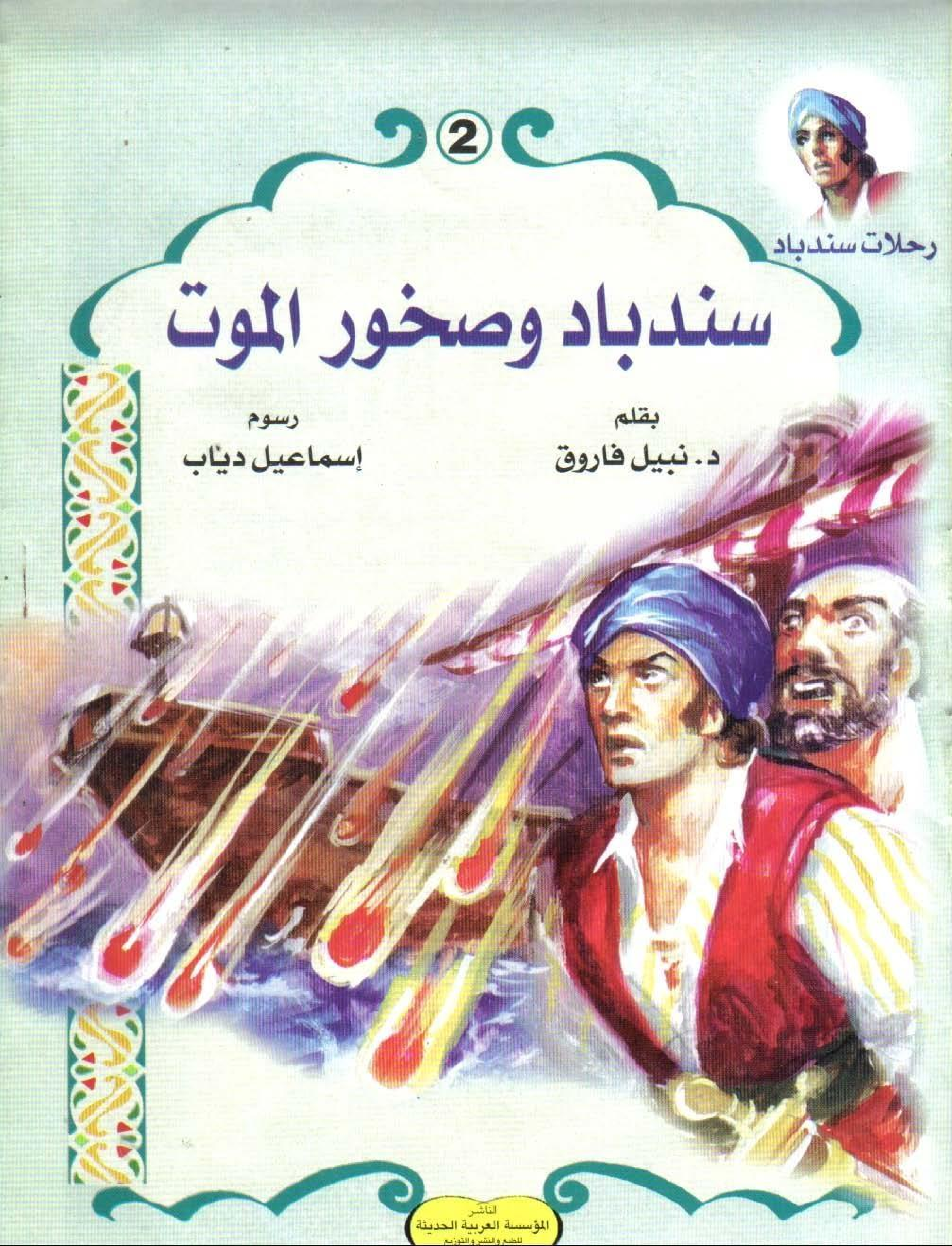


2
رحلات سندباد
سندباد وصخور الموت
بقلم
د. نبيل فاروق
رسوم
إسماعيل دياب
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



سندباد وصخور الموت

انتهى القبطان (سندباد) من رحلاته السبع الشهيرة، وراح يروى مغامراته فى مجلس السلطان، مؤكداً أنه قد شاهد كل عجائب الدنيا، ولكن وزير السلطان روى له قصته مع البحر، عندما شاهد شمساً تشرق فى منتصف الليل، وطيوراً عملاقة تختطف البحارة من السفن ..

وكان على (سندباد) أن يقبل هذا التحدى الجديد، وأن ينطلق بسفينته فى رحلته الجديدة ..

رحلة (سندباد) الثامنة.

بقلم
د. نبيل فاروق

رسوم
إسماعيل دياب

انْتهت الشمسُ من رحلتها اليوميّة ، وبدأتْ تستعدُّ للغَوْص فى الأفُق ، عندما أطلق (صفوانُ) زفْرةً حارَّة ، وهو يقول فى إرهاق :

ـ هل نَرْسو هنا يا(سندبادُ)؟

أجابه القبطانُ (سندباد) ، وهو يتطلّع إلى الأفق :

ـ نعم يا (صفوانُ) . . أعتقدُ أن الرجالَ يحتاجون إلى قسْط من الراحة ، بعد العواصف التى أرْهقَتْهم ، طوالَ الأيام الثلاثة الماضية .

صاح (صفوانُ) بالرجال ، يدعوهم إلى إلقاء الْهلْب ، ولم تْمض دقائقُ ، حتى كانت السفينةُ متوقِّفَةً وسْط بحر هادئ ، يمتدُّ إلى مدى البصر ، وقد انْطَوَتْ أشرعَتُها ، وتهالكَ بحارتها فى أركانها ، يَنْشُدون الراحَةَ ، فى حين استَنَدَ (سندبادُ) و(صفوانُ) إلى حاجز السفينة ، يتطلّعان إلى البحر ، وإلى القمر الذى بَرَز فى السماء ، مع غياب الشمس ، وقال الأخير :

ـ عجباً يا(سندبادُ) ! . . مَن يُشاهدُ البحرَ الآن ، بكل هدوئه وسُكونه ، لايتصوَّرُ أبدًا أنه البحر نفسَهُ ، الذى كانت أَمواجُه تَتصَارعُ أمس فى ثَورة جنونية .

ابتسم (سندبادُ) ، وهو يقول : هكذا البحرُ ياصديقى . . يثورُ ويغضبُ ليومين أو ثلاثة ، ثم لا يَلْبثُ أن يستكينَ .

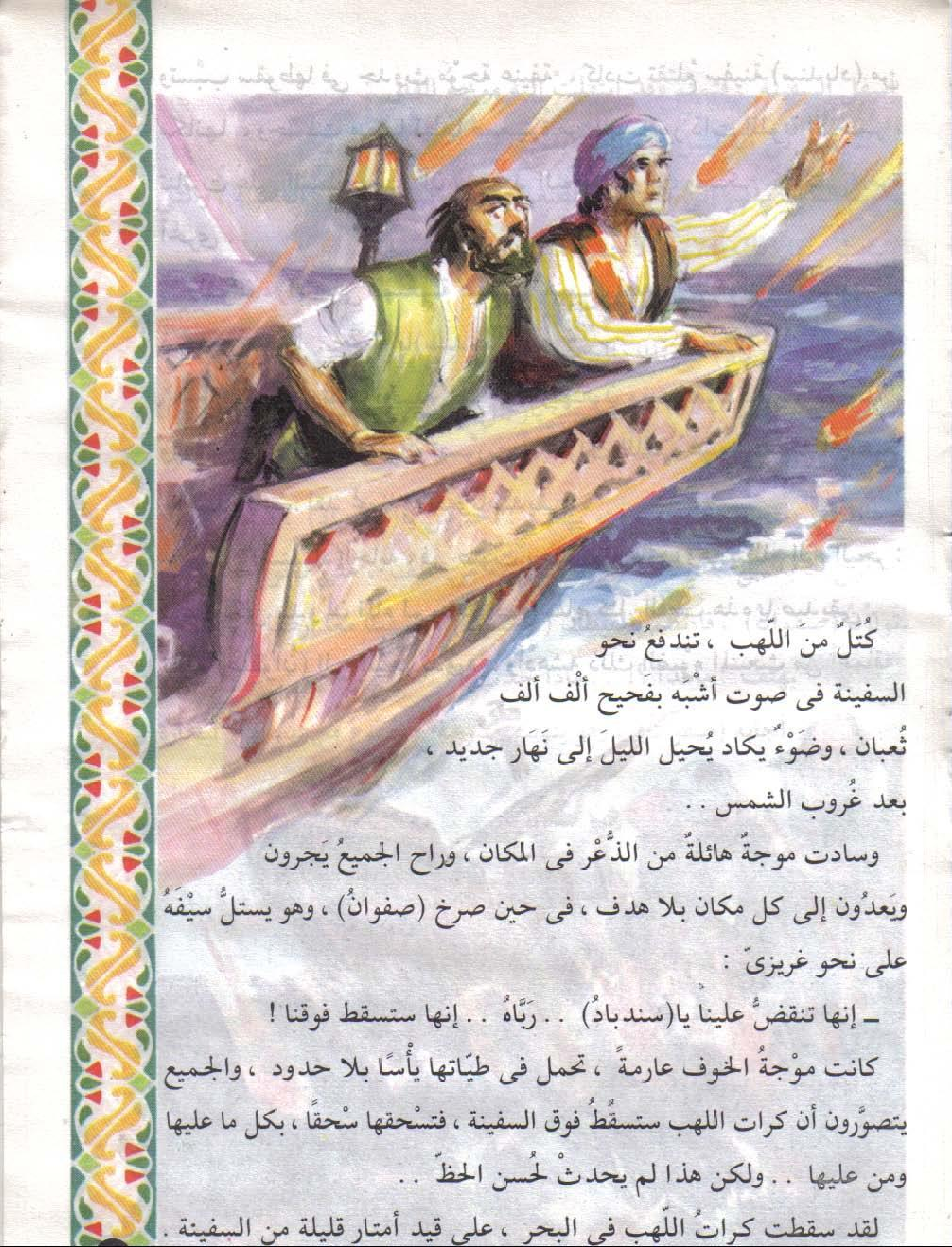
تَثَاءَب (صفوانُ) فى إرهاق ، وهو يُغَمْغمُ : أتعشَّمُ أن يظلَّ علَى سكونه ليومين آخرين ، فأنا أَحتاج إلى نوم عميق ، و . . .

قبل أن يتم عبارتَهُ ، غمَرهُ فجأة ضوءٌ مُبْهر ، آت من أعلى ، وارتفع صوتُ (سندباد) ، يهتفُ فى مزيج من الدهشة والجزع :

ـ ربَّاهُ ! . . انظرْ يا(صفوانُ) .

رفع (صفوانُ) عينيه إلى أعلى ، فأعشى الضوءُ بصَرَهُ لحظة ، قبل أن يتبيَّنَ ذلك المشهدَ المخيفَ . .

كانت هنُاك نيرانٌ تهبطُ من السَماء ، وتنقضُّ عَلَى السفينة مباشرةً . .



كُتَلٌ منَ اللّهب ، تندفعُ نحو السفينة فى صوت أشْبَه بفَحيح ألْف ألف ثُعبان ، وضَوْءٌ يكاد يُحيل الليلَ إلى نَهَار جديد ، بعد غُروب الشمس . .

وسادت موجةٌ هائلةٌ من الذُّعْر فى المكان ، وراح الجميعُ يَجرون ويَعدُون إلى كل مكان بلا هدف ، فى حين صرخ (صفوانُ) ، وهو يستلُّ سيْفَهُ على نحو غريزىّ :

ـ إنها تنقضُّ علينا يا(سندبادُ) . . ربَّاهُ . . إنها ستسقط فوقنا !

كانت موْجةُ الخوف عارمةً ، تحمل فى طيّاتها يأْسًا بلا حدود ، والجميع يتصوَّرون أن كرات اللهب ستسقُطُ فوق السفينة ، فتسْحقها سْحقًا ، بكل ما عليها ومن عليها . . ولكن هذا لم يحدثْ لحُسن الحظّ . .

لقد سقطت كراتُ اللّهب في البحر ، على قيد أمتار قليلة من السفينة .

وتسبَّب سقوطها فى حدوث مَوْجة عنيفة ، كادت تقتلعُ سفينةَ (سندباد) من مكانها ، وحملت معها قطعًا صغيرةً من الصخور ذات اللون الأحمر ، تناثرتْ على السطح ، قبل أن يستعيد البحرُ هدوءَهُ ، ويسكنَ كلُّ شىء مرة أخرى . .

ولثوان ، رَانَ على السفينة صَمْتٌ رهيبٌ ، قَطَعه (صفوان) ، وهو يهتف فى فرح : نجونا . . نجونا يا(سندبادُ) .

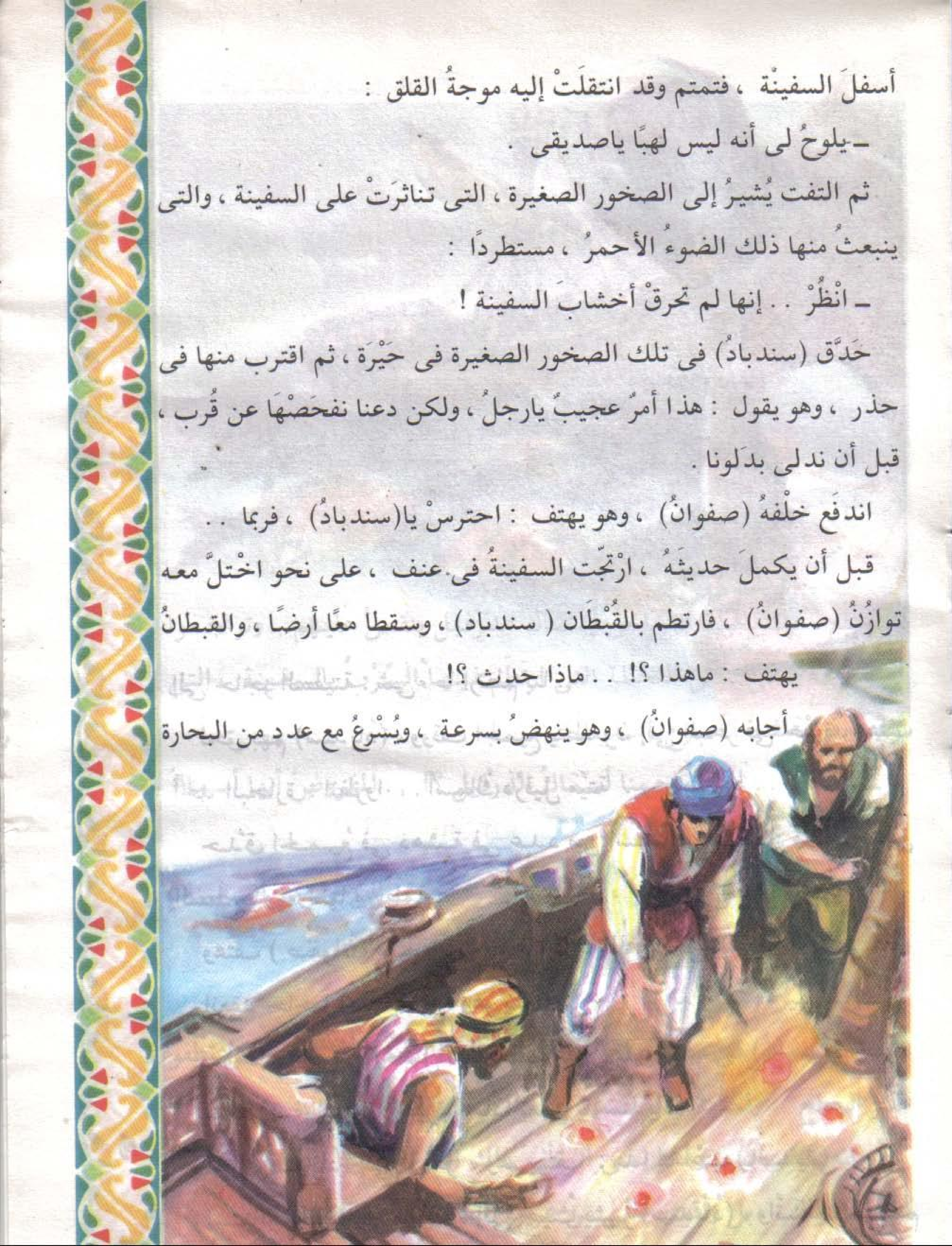
ومع صيحته ، تقافزَ الجميعُ يصرخون ويهتفون ، ويتعانقون فى سعادة جَمَّة ، و(صفوانُ) يواصلُ : لثوان تصوَّرت أن كرات اللهب هذه ستسحقُنا جميعًا يا(سندبادُ) . . لقد نجونا بمعجزة ياصديقى .

ولكن (سندبادُ)أجابه ، فى صوت يحمل رنَّةَ قلق ، وهو يتطلَّع إلى البحر :

ـ ولكن يبدو أن الماء لم ينجحْ فى إطفاء كتل اللهب هذه يا صديقى .

تطلَّع (صفوانُ) إلى البحر بدوْره ، وأدْهشه ذلك الضَّوْءُ المنبعثُ من أعماقه





أسفلَ السفينْة ، فتمتم وقد انتقلَتْ إليه موجةُ القلق :

ـ يلوحُ لى أنه ليس لهبًا ياصديقى .

ثم التفت يُشيرُ إلى الصخور الصغيرة ، التى تناثرَتْ على السفينة ، والتى ينبعثُ منها ذلك الضوءُ الأحمرُ ، مستطردًا :

ـ انْظُرْ . . إنها لم تحرقْ أخشابَ السفينة !

حَدَّق (سندبادُ) فى تلك الصخور الصغيرة فى حَيْرَة ، ثم اقترب منها فى حذر ، وهو يقول : هذا أمرٌ عجيبٌ يارجلُ ، ولكن دعنا نفحَصْهَا عن قُرب ، قبل أن ندلى بدَلونا .

اندفَع خلْفهُ (صفوانُ) ، وهو يهتف : احترسْ يا(سندبادُ) ، فربما . .

قبل أن يكملَ حديثَهُ ، ارْتجّت السفينةُ فى عنف ، على نحو اخْتلَّ معه توازُنُ (صفوانُ) ، فارتطم بالقُبْطَان (سندباد) ، وسقطا معًا أرضًا ، والقبطانُ يهتف : ماهذا ؟! . . ماذا حدث ؟!

أجابه (صفوانُ) ، وهو ينهضُ بسرعة ، ويُسْرِعُ مع عدد من البحارة



إلى حاجز السفينة : شىءٌ ما ارتطم بنا .

لَحق بهم (سندبادُ) ، ووقف الجميعُ يتطلعون إلى البحر فى حَيْرة ، وهتف أحد البحارة : انظروا . . أسماكُ دَرْفيل مَيِّتة .

حدَّق الجميعُ فى دهشة فى عدد من أسماك الدَّرْفيل ، طَفَتْ على السطح ، ورءوسُها محطَّمة .

وهتف (صفوانُ) مشدوهًا : رَبَّاهُ ! . . ما الذى فعل بها هذا؟

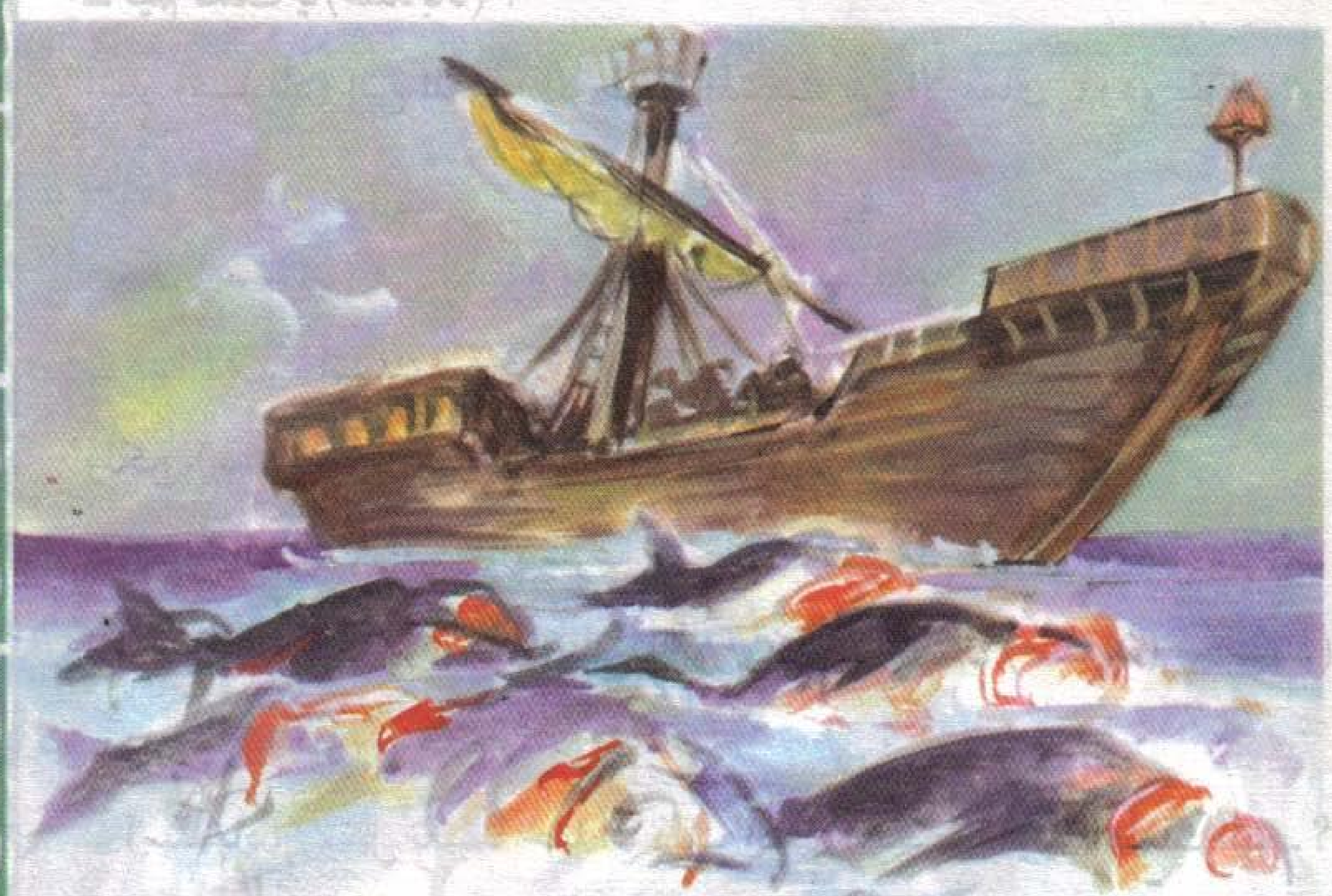
انعقد حاجبا (سندباد) ، وهو يقول :

ـ أخشى أنه من المحْتَمل أنها فعلَتْ هذا بنفسها .

سأله (صفوانُ) فى حَيْرة : ماذا تعنى يا(سندبادُ) ؟

أشار (سندبادُ) إلى البحر ، وهو يهتف : هذا ما أعْنيه ياصديقى .

استدار الجميع فى سرعة ، إلى حيثُ يشيرُ (سندبادُ) ، واتَّسَعَتْ عيونهم



فى هَلَع ، عندما رَأوا سِرْبًا من أسماك الدَّرْفيل ينقضُّ عليهم ، وتراجعوا فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى ارتَطَمَ فيها السِّرْبُ بالسفينة ، التى ارتجَّتْ فى عنف ، فصرخ (صفوانُ) :

ـ لماذا ؟! . . لماذا تهاجمنا أسماكُ الدرفيل ؟! . . المفروضُ أنها أسماكٌ مُسالمةٌ هادئةٌ ؟!

أجابه (سندبادُ) فى توتُّر ، وهو يسرع مرة أخرى إلى حاجز السفينة ، ويُلْقِى نظرةً على الضوء الأحمر ، المنبعث من أعماق البحر :

ـ ربّما يثيرُها شىءٌ ما .

قال (صفوانُ) فى دَهْشَة ، وهو يراقبُ أسماكَ الدَّرْفيل الصّريعةَ ، التى تطفو على السطح : ولكنها تقتُلُ نفسها بهذا !!

أجابه(سندبادُ) : وهذا يعنى أن تأثيرَ ذلك الشىء عليها أقوى من قُدْرَتها على الإدراك . . بل وأقوى حتى من غَريزة البقاء فى أعماقها .

التفت إليه (صفوانُ) ، يسأله فى قلق :

ـ فيم تَشُكّ يا(سندبادُ) ؟

أشار (سندبادُ) إلى الضوء الأحمر ، المنبعث منَ الأعماق ، وهو يقول :

ـ فى هذا .

حدّق (صفوانُ) فى الضوء بدَوْره ، وهو يردِّدُ ذاهلاً :

ـ هذا ؟! . . أتشكُّ فى هذا؟!

ولكن (سندبادُ) تجاهل سؤالَهُ تمامًا هذه المرّةَ ، وهتف ببحّارته :

ـ ارفعوا الهلب ، وافردُوا الأشْرعَةَ يارجالُ . . سنبتعدُ عن هنا بأقصى سُرعة .

انطلق البحارةُ ينفذون الأمرَ على الفور ، فى حينِ سألَ (صفوانُ) (سندبادَ) فى مَزيج من القلَق والحيْرة والخوف :

ـ (سندبادُ) . . هل تعتقدُ حقًا أن ذلك الشىء يمكنهُ أن يثيرَ أسماكَ البحر؟

أجابه (سندبادُ) فى توتّر ملحوظ :

ـ ليْسَت الأسماكُ وَحْدَها ، ولكنْ ربما كان يثيرُ كلَّ مخلوقات البحر ياصديقى ، ومنها مالا يمكنُ أن تَصْمُدَ سفينتُنَا أمامَهُ .

سأله (صفوان) :

ـ هل تعتقدُ أن أسْرابَ الدّرافيل ستُهاجمُنا مّرة أخرى ؟

أجابه (سندبادُ) ، وهو يُتابعُ عملية فَرْدَ الأشْرعَة :

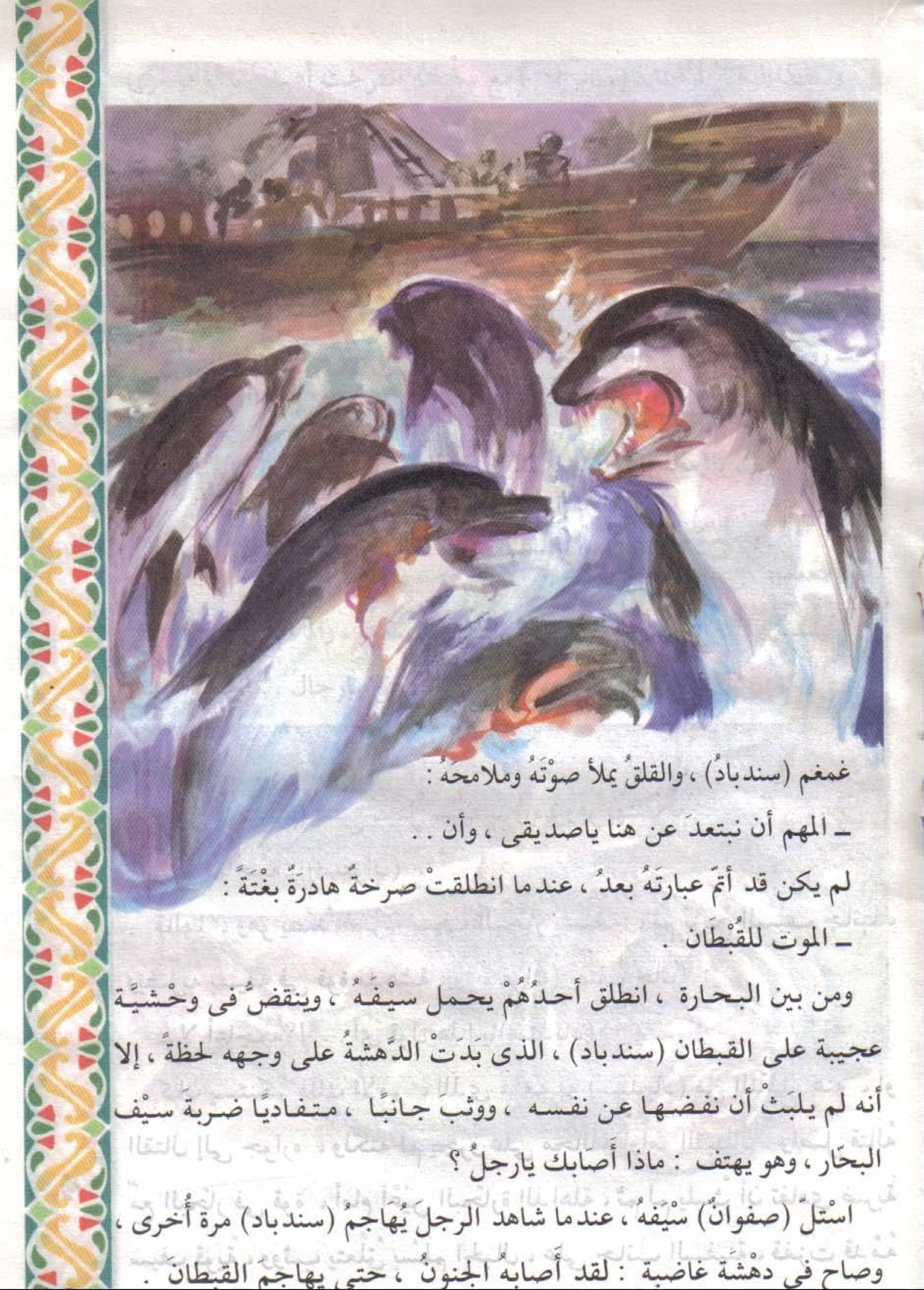
ـ لايمكننى استبعادَ هذا ، فربّما جذَبَ هذا الشىْءُ سرْبَ درافيل قريبًا ، ودفعهُ إلى مُهَاجَمَتنا ، وربما لو اقتربَ سرْبٌ آخرُ ، لجذبهُ أيضًا .

اتسعت عينا (صفوان) لحظة ، ثم هتف بدَوْره بالبحارة :

ـ ألمْ تسمعوا قَوْلَ القُبْطان أيها الأغبياءُ . . لابُدّ أن نبتعدَعن هنا بأقصى سُرعة .

انفردَتْ أشْرعَةُ السفينة ، وانطلقتْ تشقُّ طريقَهَا فى بُطْء ، وسطَ البحر الهادئ ، بسبب قلة الرياح ، فعضَّ (صفوانُ) شفتيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ كمْ أشتاقُ الآن لتلك العواصف ، التى كانت تدفَعُ سفينَتَنا دَفْعًا .



غمغم (سندبادُ) ، والقلقُ يملأ صوْتَهُ وملامحهُ :

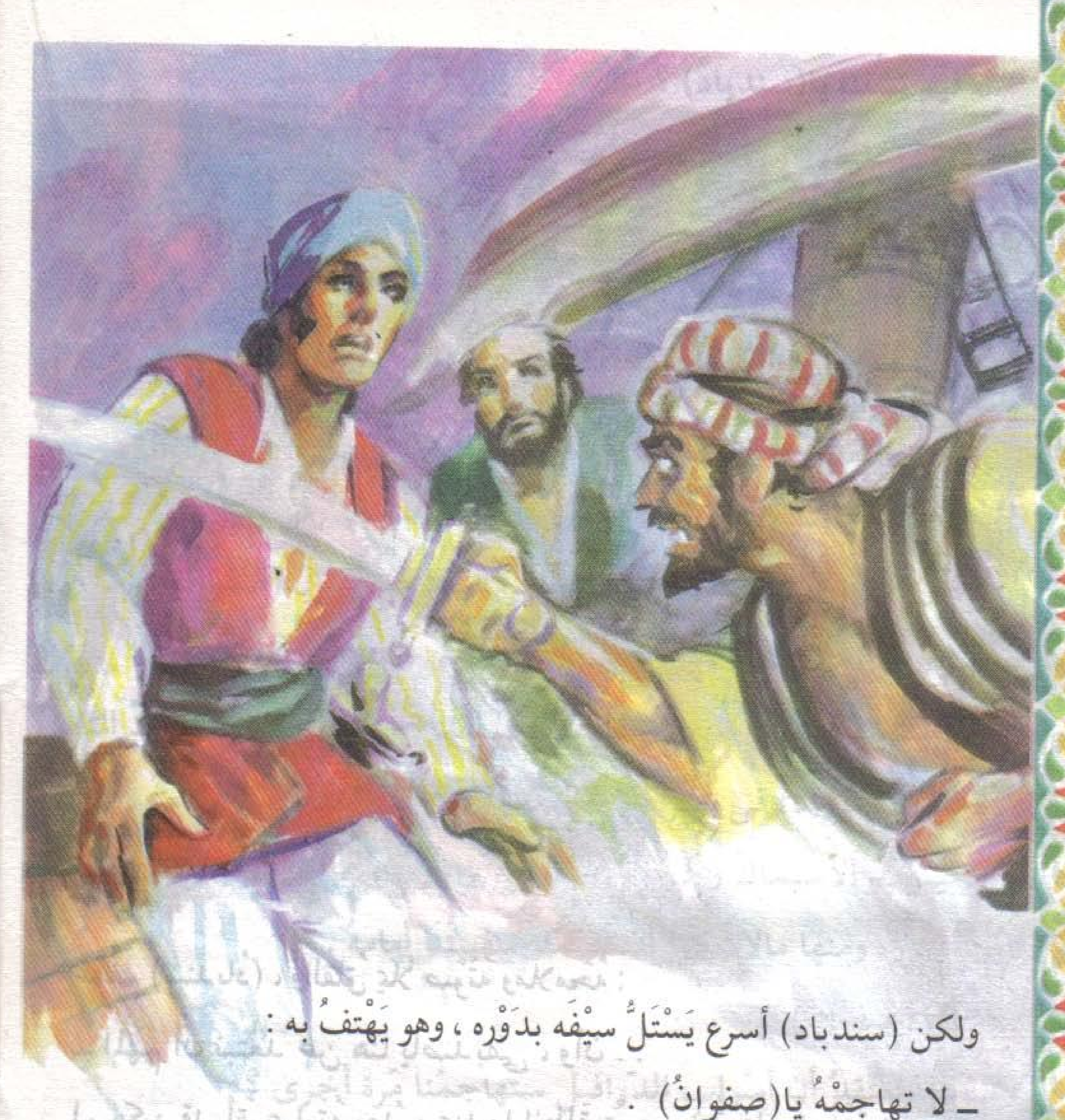
ـ المهم أن نبتعدَ عن هنا ياصديقى ، وأن . .

لم يكن قد أتمّ عبارتَهُ بعدُ ، عندما انطلقتْ صرخةٌ هادرةٌ بغْتَةً :

ـ الموت للقُبْطَان .

ومن بين البحارة ، انطلق أحدُهُمْ يحمل سيْفَهُ ، وينقضُّ فى وحْشيَّة عجيبة على القبطان (سندباد) ، الذى بَدَتْ الدَّهشةُ على وجهه لحظةً ، إلا أنه لم يلبَثْ أن نفضها عن نفسه ، ووثبَ جانبًا ، متفاديًا ضربةَ سيْف البحّار ، وهو يهتف : ماذا أَصَابك يارجلُ ؟

استلّ (صفوانُ) سَيْفهُ ، عندما شاهد الرجلَ يُهَاجمُ (سندباد) مرة أُخرى ، وصاح في دهْشَة غاضبة : لقد أَصابهُ الجنونُ ، حتى يهاجمَ القبطانَ .



ولكن (سندباد) أسرع يَسْتَلُّ سيْفَه بدَوْره ، وهو يَهْتفُ به :

ـ لا تهاجمْهُ يا(صفوانُ) .

قالها ، وهو يَصُدُّ ضرْبة سيف البحّار بسيفه ، ثم يُزيحُ السيْف جانبًا ، ويضربهُ بسيفه فى قوة مدهشة ، و(صفوانُ) يهتفُ حائرًا :

ـ لا أهاجمهُ؟! . . أىّ قول هذا يا(سندباد)؟

كان يستنكرُ ذلك الأمرَ ، الذى منعه به (سندبادُ) من الدّفاع عنه ، أو القتال إلى جواره ، ولكنه لم يجرُؤْ على مخالفة أوامر القبطان ، واصل قتالَهُ مع البحّار فى قوة ، أمام أعْيُن البحّارة الذاهلة ، ثم لم يلبثْ أن تفادى ضربةَ سيف قويةً ، ووثب يتعلّقُ بِسُلّم الحبال ، على جانب السفينة ، فقفزت قدمُهُ تركُلُ السيفَ من يد البحّار ، ثم انطلقتْ قبضتُه تلْكُمُه كالصّاعقة . .

وسقط البحارُ أرضًا فاقدَ الوعى ، مع سَقْطته انفرجت أصابعُ يده اليُسْرَى ، فَتَدحْرَجَتْ منها قطعةٌ صغيرةٌ من تلك الصخور اللاّمعة الحمراء ، فى نفس اللّحظة التى وثبَ فيها (صفوانُ) نحوه ، وهتف غاضباً :

ـ هذا الخائنُ يستحقُّ القتلَ يا(سندبادُ) .

أشار إليه (سندبادُ) هاتفًا :

ـ رُوَيْدَكَ يارجلُ . . إنه لم يكن يقصدُ مافعله ، ولم يكنْ يَعيه أيضًا .

قال (صفوانُ) مستنكرًا :

ـ ماذا تقول يا(سندبادُ) ؟! . . لقد هاجمك الرجلُ عمْدًا ، وحاول قتلَكَ .

أجابه (سندبادُ) فى حَزْم : إنه لم يفعلْ هذا بكامل وَعْيه ، فقد . .

قاطعهُ فجأةً صوتٌ يصرخ :

ـ سيِّدى القبطانُ . . هجومُ الدّرافيل أصاب السفينَة ، والماءُ يتدفَقُ فى القاع .

قفز (سندبادُ) من مكانه بسُرعة ، هاتفًا : أسْرعوا يارجالُ . . احملوا بعضَ





الأخشابِ ، وأصْلِحُوا قاعَ السّفينة ، قبلَ أن نَغْرقَ جميعًا .

دبّتْ حالةٌ منَ النّشاط والتوتّر فى السفينة ، وراح الجميع يتحركون فى كل مكان ، بعضُهُم يُحْضرُ الأخشابَ ، والبعضُ الآخرُ المسامير والأدوات ، وهبط معهمُ القبطانُ (سندبادُ) إلى القاع ، ليُشْرفَ بنَفْسه على عملية الإصلاح ، وهو يهتف : لا تترُك السّطْحَ يا(صفوانُ) . . فمن يدرى ما يمكنُ أن نواجِهَه ؟

وقف (صفوانُ) فى مكانه على السّطح ، يدير عينيه فيما حوْله ، وسْط عَدَدٍ من البحّارة ، وقد انْتَابَهُ قلقٌ عنيف ، حتى أن جسدَهُ انتفضَ فى شدّة ، عندما تأوّه ذلك البحّار ، الذى أفْقَدَهُ (سندبادُ) الوعْى ، واستَلّتْ يدُه سيفَهُ فى حركة حادّة عنيفة ، مع صوت البحّار الْمُتَهَالك ، وهو يستعيدُ وَعْيَهُ ، مُغَمْغمًا :

ـ ماذا حدث ؟ . . ماذا أصابنى ؟



صاح به (صفوانُ) فى غضب :

ـ ويلٌ لك يارجلُ . . لقد حاولْتَ قتْلَ القبطان (سندباد) .

هتف البحّار فى دهشة : أنا ؟! . . أنا أحاولُ قتْلَ القبطان (سندباد) ؟! . . هذا مستحيل! . . إننى أدين له بحياتى ، التى أنْقَذَها ذات يوم .

قال (صفوانُ) فى عصبية تمتزج بالدّهشة : ولكننا رأيناك جميعًا تفعلُ هذا يارجلُ .

قال البحّار فى حَيْرة شديدة :

ـ أنا أفعلُ هذا ؟! . . إننى أجهلُ حتى كيفَ وجدْتُ نفسى فاقدَ الوَعْى ، على هذا النحو ، فكُلّ ماأذكرُهُ هو أننى أمْسَكْتُ إحدى تلك الصّخور المضيئة ، وكنت أتصوّرُها ساخنةً ، ولكننى فوجئْتُ بها باردةً كالثّلج ، و . . .

بتر عبارتَهُ فى حَيْرة ، فسأله (صفوانُ) فى حدة :

ـ وماذا يارجلُ ؟

هزَّ الرجلُ رأْسَهُ ، مُغمغمًا :

ـ وبعدها لا أَذكرُ شيئًا ، وكأنّ سحابةً سوداءَ تحجُبُ ذاكرتى تمامًا .

عقد (صفوانُ) حاجبيه فى شدّة ، وهو يحدِّقُ فى وجه البحّار غيرَ مصدِّق ، ثم أدار عينيه إلى الصّخور المضيئة ، وبَقِى جامدًا فى مكانه لحظات ، قبل أن ينحنىَ ليلْتَقطَ إحداها فى حذر ، قائلاً : إننى أتساءلُ . . .

التقط الصخرةَ الصغيرة ، التى بَدَتْ له بالفعل باردَةً كالثلج ، على الرغم من شكلها الشّبيهِ بالجَمْر المتَوَقِّد ، وراح يتطلَّعُ إليها بعينين جامدتين ، فى نفس اللّحظة التى صعد فيها (سندبادُ) إلى السطح ، وقال فى إرْهاق :

ـ حمدًا لله . . لقد نجحْنا فى سَدِّ الثُّقْب ، وستواصل السفينةُ رحلتَها إلى الوطن بإذن الله ، وهناك سيتُّم إصلاحُ الثُّقب جيدًا ، و . .

بتر عبارته ، عندما لاحظ تلك النَّظْرَةَ الشّاردةَ ، فى عينى (صفوان) ، فسأله فى قلق :

ـ (صفوانُ) . . هل تسمعُنى ياصديقى؟

بدا له (صفوانُ) أشبهَ بتمثال من الرُّخام ، فاقترب منه فى حَذَر ، ولمس كتفَهُ ، وهو يواصلُ فى توتر : (صفوان) . . ماذا أصابك ؟

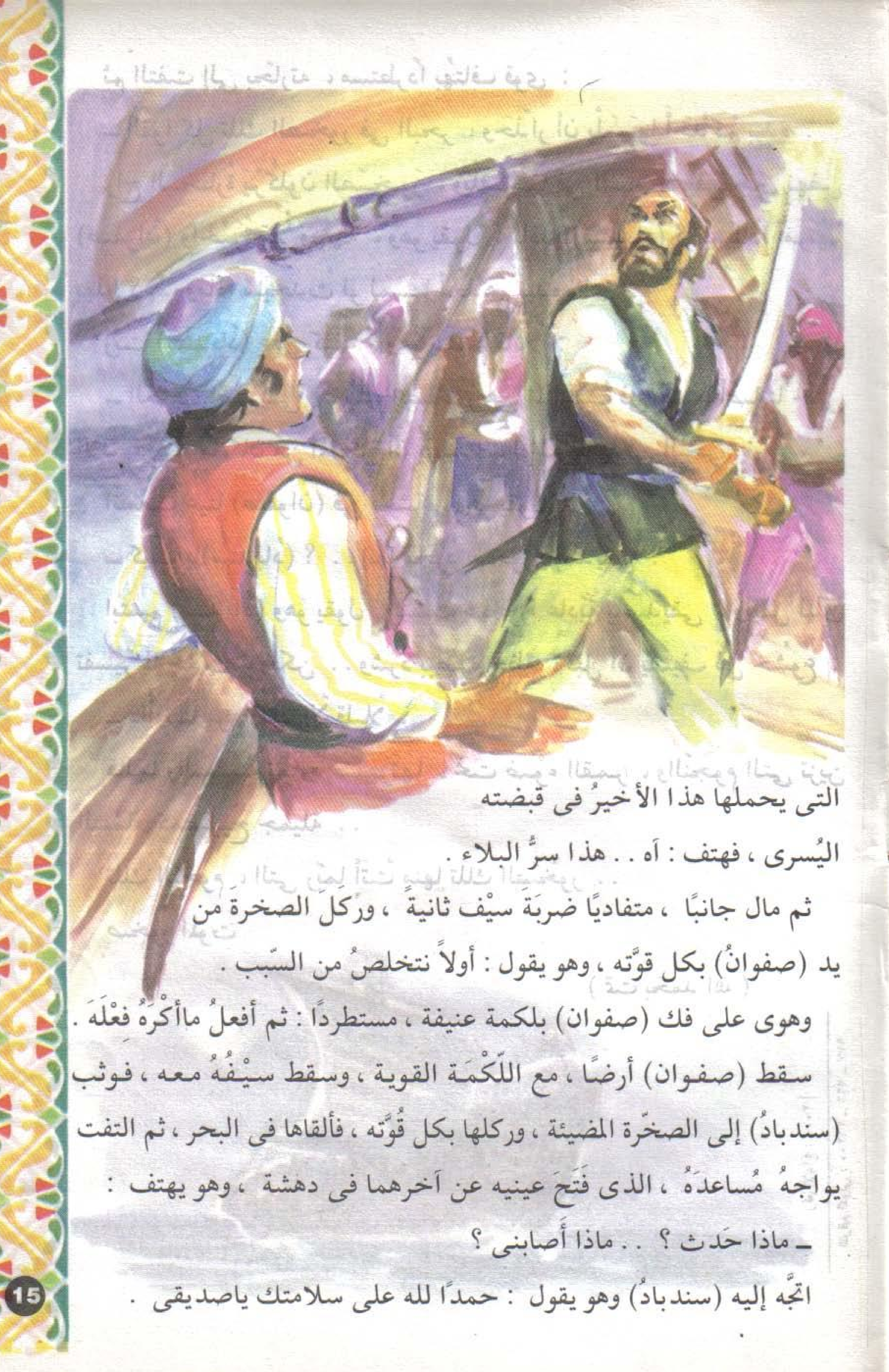
وفجأةً دبّ النشاطُ فى جَسَد (صفوان) وصاح فى غضب ، وهو يَدْفَعُ (سندباد) بعيدًا :

ـ ابتعدْ .

ثم اسْتلّ سَيْفَهُ ، وانْقضّ عليه ، صارخًا :

ـ إنك تستحقّ القتلَ .

قفز (سندبادُ) جانبًا ، متفاديًا ضربةَ سيف (صفوانَ) ، وتركَّزتْ عيناهُ على تلك الصّخرة المضيئة ،



التى يحملها هذا الأخيرُ فى قبضته اليُسرى ، فهتف : آه . . هذا سرُّ البلاء .

ثم مال جانبًا ، متفاديًا ضربَةَ سيْف ثانيةً ، وركَلَ الصخرة من يد (صفوانُ) بكل قوَّته ، وهو يقول : أولاً نتخلصُ من السّبب .

وهوى على فك (صفوان) بلكمة عنيفة ، مستطردًا : ثم أفعلُ ماأكْرَهُ فعْلَه .

سقط (صفوان) أرضًا ، مع اللّكْمَة القوية ، وسقط سيْفُهُ معه ، فوثب (سندبادُ) إلى الصخّرة المضيئة ، وركلها بكل قُوَّته ، فألقاها فى البحر ، ثم التفت يواجهُ مُساعدَهُ ، الذى فَتحَ عينيه عن آخرهما فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ ماذا حَدث ؟ . . ماذا أَصابنى ؟

اتّجه إليه (سندبادُ) وهو يقول : حمدًا لله على سلامتك ياصديقى .

ثم التفت إلى بحّارته ، مستطردًا بِهُتاف قوى :

ـ أَلْقُوا كل تلك الصخور فى البحر ، وحَذَار أن يلْمَسَها أَحَدُكمْ بيده .

راح البحارةُ يَرْكُلون الصّخورَ ، ويُلْقونها فى البحر ، فى حين نهض (صفوانُ) والحيْرَةُ تملأُ وجهه ، وهو يقول : لماذا يا(سندبادُ) ؟ . . لماذا أمرتَهُمْ بهذا ؟ . . وماذا سيحدثُ لو لَمَسها أحدُهم بيده ؟!

ربَّت (سندبادُ) على كتفه ، وهو يبتسمُ قائلاً :

ـ الكثيرُ ياصديقى . . هذه الصخورُ هى المتسبِّبُ فى كل ماأصابنا حتى الآن ، وكل ما كان من الممكن أن يصيبَنَا ، لو لم نُلْقها فى البحر .

اتّسعتْ عينا (صفوان) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ كيف يا(سندبادُ) ؟ . . إنها مجرَّدُ صخور ياصديقى .

ابتسم (سندبادُ) وهو يقول : ليستْ صُخورًا عاديّةً ياصديقى ، وليس لدَىّ تفسيرٌ لما حدث ، ولكن . . وشردَ ببصره لحظة ، قبل أن يُضيفَ فى خشوع :

ـ ماأُوتينا من العلْم إلاّ قليلاً .

قالها والسفينهُ تعَاودُ مَسيرَتَهَا ، تحتَ ضَوْء القمر ، والنّجوم التى تزيّن السماءَ كمصابيحَ جميلة . .

تلك النجوم ، التى ربّما أتَتْ منها تلك الصّخُور . .

صخور الموت

(تمت بحمد الله)



رقم الإيداع : ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : ٢٦٢٠٠ - ٢٦٦ - ٩٧٧



هذه السلسلة تقدّم لك مغامرات جديدة ، من طراز خاص وفريد ..

إنها ليست رحلات (سندباد) السبع الشهيرة ، التى طالعتك من قبل ، فى (ألف ليلة وليلة) ..

إنها رحلات (سندباد) جديد ..

(سندباد) عصرى ، يمتزج فى مغامراته الخيال العلمى ، وروح الأساطير ، وعبق التاريخ ..

وفى كل مرة ستخوض مع (سندباد) وسفينته مغامرة جديدة.. ورحلة جديدة ..

وفى كل مرة سيحيط بك خليط من الغموض والإثارة والإبهار والحركة ..

هذا لأنها ليست رحلات عادية ..

إنها رحلات (سندباد) ..

(سندباد) الجديد .

